وسطية الأمة بين مقاصد الدعوة وقيم التواصل

د.محمد بابكر العوض*

المستخلص

هدف البحث إلى التعريف بالإطار العام لمفهوم الوسطية، وتنزيله من أفق التجريد النظري والأحكام القيمية إلى حيز التفعيل والممارسة العملية. كما هدف إلى التعريف بالوسطية وموقعها بين منطلقات الدعوة ومقاصدها. وإظهار البعد التواصلي لمفهوم الوسطية وموقعه بين مبادئ الاتصال الإسلامي، ومدى حضور المفهوم على مستويات الخطاب العلمي والخطاب الدعوي والخطاب الإعلامي، سعياً للإجابة على سؤال جوهري هو: كيف يتم تفعيل معاني الوسطية في جملة الخطاب الدعوي ونظم الاتصال الاسلامي؟ واستخدم الباحث المنهج التحليلي وتوصل للعديد من النتائج تتعلق بتقدير المساعي الرامية إلى تفعيل مفهوم وسطية الأمة ووفاء مفهوم العالم الإسلامي للتمثيل الواقعي والمعادل الموضوعي لمعني الأمة المسلمة وانقسام المقاصد الكلية للفعل الدعوي إلى مقاصد عامة أهمها مقصد إقامة الدين وعدم التفرق فيه ومقاصد خاصة بالدعاة والمدعوين.

* أستاذ الإعلام وعلوم الاتصال المشارك– بجامعة الجزيرة-السودان.
melawad@uofg.edu.sd

مقدمة:

الدعوة الإسلامية في حقيقتها ظاهرة اجتماعية ثقافية وسلوك إنساني ديني وهي بذلك موضوع ذو وجوه متعددة وأبعاد متداخلة؛ و تستدعي الدراسة الشاملة لها نوعاً من التكامل بين العلوم المتخصصة في كل بعد من هذه الأبعاد، والدعوة ظاهرة اجتماعية ثقافية لأنها تتشكل تبعاً لمتغيرات اجتماعية وتفاعلات ثقافية تعيشها المجتمعات المسلمة حيثما وجدت فهي مكون راسخ في أصل تكوينها، وهي سلوك ديني يمثل الاستجابة المجتمعية والثقافية لما يترتب على تلك التفاعلات والمتغيرات، وتظل تلك الاستجابة محكومة بمحددات القيم الإسلامية وموجهة بالمقاصد الكلية لأمة المسلمين، ويتولد الإشكال المقصدي –الذي تعالجه هذه الدراسة- عندما تفتقد الممارسة الدعوية أصالتها من ناحية وغائيتها من ناحية أخرى، أو عندما تقع بين قوس النمطية والتقليد وقوس العدمية والفوضى، على نحو ما يعكسه واقع الاتصال في نهايات القرن الخامس عشر الهجري وبدايات القرن 21 الميلادي، مما يبدو معه الخطاب الدعوي ذاهلاً عن مقاصد الشارع ومتطلبات الواقع، من حيث نوع الموضوعات والأفكار ومناهج المعالجة ولغة الخطاب، والخطاب الإعلامي غارقاً في التشيوء والمادية مغفلاً للأبعاد الكونية للوجود البشري، مهملاً للقيم الروحية والأخلاقية، حفياً بقيم الكسب واللذة، وهموم الهيمنة والسيطرة. وقد يعمل الخطاب الدعوي في توظيفاته السالبة على تضليل الوعي وتهديد الاستقرار ومن ثم الإفساد بدل الإصلاح وتضييع الأموال والأنفس والثمرات بحسن نية أحياناً، وسوء قصد وإرادة عداءً للإسلام ديناً وللمسلمين أمة في أحايين أخرى .

وفي سبيل معالجة مشكلة البحث ومناقشة مسلماته الرئيسة تم تقسيمه إلى ثلاثة أقسام، الأول بالوقوف على مفهوم "وسطية الأمة" ومتعلقاته ومفهوم "مقاصد الدعوة" ومتعلقاته، وقسم يتعلق بنظام الاتصال الإسلامي وتنزيل مبدأ الوسطية من خلاله والتي تمت مناقشتها من خلال استعراض النسق القيمي في النظام الوسطي والوظائف الإعلامية في نظام الاتصال الوسطي لتنتهي الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات.

أولاً:المقدمة المنهجية:

يسعى هذا البحث إلى التعريف بالإطار العام لمفهوم الوسطية، وتنزيله من أفق التجريد النظري والأحكام القيمية إلى حيز التفعيل والممارسة العملية.كما يهدف إلى التعريف بالوسطية و موقعها بين منطلقات الدعوة ومقاصدها.

واظهار البعد التواصلي لمفهوم الوسطية وموقعه بين مبادئ الاتصال الإسلامي. ومدى حضور المفهوم على مستويات الخطاب العلمي والخطاب الدعوي والخطاب الإعلامي.

سعياً للإجابة على سؤال جوهري هو: كيف يتم تفعيل معاني الوسطية في جملة الخطاب الدعوي ونظم الاتصال الإسلامي؟.

وتقوم منهجية التحليل على ما يقتضيه الموضوع من ترتيب للأولويات بإعطاء الأسبقية لمفهوم الأمة في مستوى حضوره الواقعي ومن ثم الانتقال إلى معنى وسطيتها - الذي هو موضوع النظر في هذه الورقة- ومدى فاعليته في محاولة لإعادة تعريف مفهوم الوسطية بما يطلقه من قيود التحكم البياني المتأسس على لزوم الدلالة اللغوية. والتدخل الظرفي بما تسقطه عليه دلالات السياقات التي وظف فيها مفهوم الوسطية. وتحكيم السياق القرآني والتنزيل النبوي على ما تلاهما من اجتهادات تراوحت في قربها وبعدها من الحكم المعياري.

1. **مفهوم الأمة ومصطلح العالم الإسلامي:**

تتعامل الدراسة مع مفهوم "العالم الإسلامي" باعتباره المفهوم المعبر واقعياً عن معنى الأمة المسلمة بعيداً عن الرؤية المثالية، ويتميز مفهوم "العالم الإسلامي" متضمناً الدلالات السياسية و الجغرافية والثقافية للمفهوم، ومع أنّ الانتماء للأمة المسلمة لا يستثني الأقليات المسلمة في البلاد غير الإسلامية؛ إلا أننا سنجد أنّ التجربة النبوية منحت من لم يهاجر إلى ديار الإسلام من المؤمنين أحكاماً خاصة، مما يمنح هذا الاعتماد القائم على الدولة كوحدة أولية في تجسيد مفهوم الأمة نوعاً من المشروعية. ويبرز مسمى العالم الإسلامي على الخارطة والتعبير الجغرافي للإسلام من خلال (55) دولة تنتمي لمنظومة دول التعاون الإسلامي، ويعبر عن توجه (1,619,314,000) نسمة في مختلف دول العالم وهم يمثلون 23% من سكان العالم، ثقافياً سنتفاجأ أن من بين المجموعة (3) دول لا يشكل الإسلام ديانة غالبية السكان فيها وهي يوغندا وسورينام و غويانا، ثقافياً أيضاً سنجد أن هناك تمثيل لكل المجموعات الإثنية الرئيسية، كذلك تمثيل كل اللغات الأم موجود وممثلة في هذه الخارطة.

واقعياً يواجه مفهوم الأمة الوسط تحديات وتهديدات تتمثل في الموقف المزدوج من قبل المجتمع الدولي؛ فمع ما مثلته أطروحات مثل صراع الحضارات لصمويل هنتنجتون ونهاية التاريخ لفرانسيس فوكوياما من تقدير لدور الدين في السياسة الدولية إلا أنّ هذا الاعتراف يواجه بمشكلات عدة على حيز التطبيق، فالمجتمع الدولي الذي يعترف بالمنظمات الإسلامية الدولية ولكنه يرفض اعتماد البعد الديني كأساس للعمل على الساحة الدولية وللتصنيف الثقافي للعام، ويمر العالم الإسلامي مع نهاية العقد الثاني من الألفية الثالثة "بوقت عصيب ومرحلة استثنائية في تاريخه، تقتضي بدورها تحركاً استثنائياً وعملاً جاداً ورداً مناسباً، وتستوجب السعي إلى استراتيجية تمكّن الأمة الإسلامية من مواجهة تحديات

القرن الواحد والعشرين، ولا بد لهكذا استراتيجية أن تنطلق من استيعاب هذه التحديات واستشعار خطورتها وأهمية التعامل الجاد معها. والبدء في التخطيط لمسار وهياكل تجمع الجهد الإسلامي على الأصعدة السياسية والاقتصادية والدفاعية وذلك أمر حتمي. فالأمة الإسلامية أمة ذات شأن في هذا العالم، ولها كلمة وإن لم تسمع، ورأي وإن لم يعتدّ به، وتلك من أهم دواعي التحرك حال توافر الإرادة السياسية والإجماع الوطني على العمل المشترك، ولعل توفير مثل هذا المناخ يمثل التحدي الأول، ومع تحقيقه تكون الأمة قد بدأت مسيرتها على الطريق المؤدي لمواجهة التحديات والتغلب عليها بإذن الله" ترى الدراسة أنّ الموقف القائم غلى مثل هذه الرؤية هو موقف عملي يعبر عن ما للأمة من اتجاهات إيجابية نحو ذاتها ورسالتها الحضارية، ولنا هنا أن ننظر لأي تعبير إيجابي يعمل على تحقيق شهود الأمة من خلال رسالة دعوية بينة ورؤية معرفية وثقافية واضحة وإرادة سياسية ماضية باعتباره عاملاً يكسب الخطاب الدعوي للأمة والرسالة التواصلية لمجتمعاتها قدراً من الوضوح والفاعلية، ولئن كان ذلك المعنى قد غاب عن أفق الدراسات الدعوية لما اعترى ظاهرة الدعوة نفسها من قولبة وتنميط أقعدت بها عن تحقيق غاياتها وبلوغ مقاصدها، تساعدنا دراسات الدعوة والاتصال في إعادة تفكيرنا في الخطاب الديني والممارسة الدعوية على مستوى التواصل الثقافي والاتصال الدولي[1].

يبلغ عدد الدول الإسلامية في العالم 55 دولة، هي جميعاً أعضاء منظمة المؤتمر الإسلاميّ، ما عدا سورينام وغويانا اللتين تُعتبران من دول أمريكا اللاتينية والمُسلمون فيهما أقلية. وتُوجد عدة دول مُراقبة في المنظمة تحتوي أقليّات مسلمة، من أهمّها روسيا وبورما ويوغوسلافيا.

يُمكن أيضاً تصنيفُ الدول الإسلامية بطريقة أخرى، وهي الدول التي يكونُ أغلب سكانها من المُسلمين، أيّ فيها نسبة تزيدُ عن 50% من المواطنين الذين يعتنقُون الإسلام، ووفقاً لتعريف علم الجغرافيا السياسية فإنَّ هذه الدول هي التي تُكوّن ما يعرف "بالعالم الإسلامي". في مثل هذه الحالة تُوجد 49 دولة إسلامية في العالم، يعيشُ فيها 1.2 مليار نسمة أو حوالي ثلاثة أرباع السكان المُسلمين في العالم.

بلغ مجموع عدد مُعتنقي الديانة الإسلامية في العالم بحسب تقدير مركز بيو للأبحاث (Pew Research Center) لعام 2010 ما يُعادل 1,619,314,000 نسمة، أي أنَّهم يمثلون حوالي 23% من سكان العالم أجمع، ويعيشُ ثلاثة أرباعهم في الدول التسعة والأربعين ذات الأغلبية السكانية المُسلمة، وبحسب المركز البحثي نفسه فإنَّ من المُقدّر ارتفاع عدد السكان

[1] الطالب، هشام: ميثاق الشرف الدعوي،بدون تاريخ ص6

المسلمين في العالم بحُلول سنة 2030 بنسبة الثلث، ليصلَ إلى 2.2 مليار إنسان، وبالتالي سوف يرتفعُ تمثيلهم العالمي إلى ست وعشرين في المئة[2].

2. مفهوم الوسطية:

ونحاول في هذا الجزء من البحث تحرير مفهوم الوسطية بما يطلقه من قيود التحكم البياني المستند إلى لزوم الدلالة اللغوية، وتحريره من ناحية ثانية من التدخل الظرفي بما تسقطه عليه حالات توظيف المفهوم من دلالات عملية.

"مبتدئين بمناقشة التعريفات اللغوية لمفردة الوسطية، فالمتأمل في ما ورد في القرآن والسنة والمأثور من كلام العرب فيما أطلق وأريد به مصطلح الوسطية يتضح له أنّ هذا المصطلح لا يصح إطلاقه إلا إذا توفرت فيه صفتان هما صفة الخيرية أو ما يدل عليها كالأفضل والأعدل أو العدل.و صفة البينية سواء أكانت حسية أو معنوية. فإذا جاء أحد الوصفين دون الآخر فلا يكون داخلاً في مصطلح الوسطية.

والقول بأن الوسطية ملازمة للخيرية –أي أن كل أمر يوصف بالخيرية فهو (وسط) – فيه نظر، والعكس هو الصحيح، فكل وسطية تلازمها الخيرية، فلا وسطية بدون خيرية، ولا عكس فلا بد مع الخيرية من البينة حتى تكون وسطاً. وكذلك البينية – أيضًا- فليس كل ما هو بين شيئين أو أشياء يعتبر وسيطاً وإن كان وسطاً، فقد يكون التوسط حسياً أو معنوياً، ولا يلزم بالوسطية كوسط الزمان أو المكان أو الهيئة ونحو ذلك؛ ولكن كل أمر يوصف بالوسطية فلابد أن يكون بينياً حساً أو معنى. ومن هنا نخلص إلى أن أي أمر اتصف بالخيرية والبينية جميعاً فهو الذي يصح أن نطلق عليه وصف: الوسطية، وما عدا ذلك فلا.[3]

ويستدل الصلابي لصحة رأيه بما وصف الله به هذه الأمة من وسطية في قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) (البقرة: 143)، إذ صح عن النبي ρ- أنه فسر الوسط بالعدل. وفي رواية: عدولاً[4].

يحرر الصلابي معنى الوسطية قائلاً: من خلال ما سبق اتضح لنا أن كلمة (وسط) تستعمل في معان عدة أهمها:

- بمعنى الخيار والأفضل والعدل.
- قد ترد لما بين شيئين فاضلين.

وتستعمل لما كان بين شيئين وهو خير.

---

[2] أنظر موقع موضوع.كوم :

[3] يستند الصلابي في ذلك على رأي ، ناصر سليمان العمر في كتابه الوسطية في ضوء القرآن. رابط المادة http://iswy.co/e143tv

[4] الصلاّبي :علي محمد , الوسطية في القرآن , 1428هـ-2007م الطبعة الأولى , دار ابن الجوزي – القاهرة .

وتستعمل لما كان بين الجيد والرديء، والخير والشر.

وقد تطلق على ما كان بين شيئين حساً، كوسط الطريق، ووسط العصا، وقد تأتي لمعان أخرى قريبة من هذه المعاني والمهم –هنا- متى يطلق لفظ (الوسطية) بل على ماذا يطلق هذا المصطلح؟ فهناك من جعل مصطلح الوسطية مرادفاً للفظ الخيرية، ولو لم يكن بين شيئين حساً أو معنىً.

وعرف البعض الوسطية بأنها "مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة، والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين، وإقامة الحجة عليهم ثم قال: أما ما شاع عند الناس وانتشر من الوقوف عند أصل دلالتها اللغوية، أي التوسط بين طرفين، مهما كان موضوع هذا الوسط – الذي تم اختياره- من صراط الله المستقيم، التزاماً وانحرافاً، فليس بمفهوم صحيح وفق ما تبينه الآيات والأحاديث"[5].

مسلمات البحث:

وتنطلق رؤية الباحث هنا عبر جملة من المسلمات المتعلقة بمفهوم (وسطية الأمة) التي بنى عليها مقاربته للأبعاد الدعوية والاتصالية لمفهوم الوسطية يأتي في مقدمتها؛ أن وسطية الأمة أمر لازم لها في كل أحوالها وليست هي حالة طارئة أو وضع محدث فرضته عوامل الزمان وإكراهات الأوضاع الراهنة للأمة كما يتوهم البعض، فالوسطية نواة في كينونة الأمة وركيزة في وجودها ، فقد اكتسبت الأمة خيريتها من وسطيتها؛ بتحقيقها لمعايير وشروط الخيرية التي حددها القرآن حيث حصرتها الآية الكريمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، وإذا كانت أحوال العالم الإسلامي مضطربة سياسياً واقتصادياً فإن الإسلام كدين لا يزال أسرع ديانات العالم نمواً واكثرها انتشاراً، وهو نمو كمي ونوعي في ذات الوقت، ومع ما يعج به الخطاب الإعلامي من تشويه واتهامات للإسلام والمسلمين ظلت الشواهد على حرص الأمة -مجتمعاتها وشعوبها- على التزام موقع التوسط أمر مقرر في مواقفها التاريخية والحضارية ومشهود لها به، وشواهد ذلك حاضرة في كثير من الأدبيات والتقارير والاستطلاعات، ومع التهديدات التي طالت معظم ديار الإسلام لم يغفل المسلمون عن المحافل التي اهتمت بأمن واستقرار الإنسان على مستوى الأسرة والمرأة والطفل، لقد وقف المسلمون وحدهم مع خيار الأسرة ثنائية الجنس باعتبارها مظهراً لكرامة الإنسان حفظاً لنوعه، وسعياً مع جموع البشر لتحقيق أهداف الألفية وقفوا مع مشروعات التنمية المستدامة دون تردد، ولا تزال دولهم أقل نسب انبعاث الكربون في العالم، ووقف المسلمون مع الحرية الدينية وضد الدعوة للإلحاد ومحاربة الأديان وفرض

[5] عبد القادر، فريد محمد هادي: الوسطية في الإسلام مفهومها وضوابطها وتطبيقاتها، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود **الإسلامية**، كلية الدعوة والإعلام ، ص٢٩

اللادينية على مستوى الحياة العامة، مؤكدين على إيجابية إيمانهم بالله مؤكدين أنّ بقاء الأمة الإسلامية أمة وسطاً والسعي إلى استدامة ذلك .

والمسلَّمة الثانية أنّ من مقتضيات الوسطية الفاعلية والتفاعل والتي تتجسد في هذه الورقة عبر مفهومي الدعوة والاتصال، وقد أضاف القرآن هذا الموقف الإيجابي من هوية الأمة ورسالتها معياراً للتفضيل فقال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (فصلت:33) فهل هذا الوضع الإيجابي تجاه الذات والآخر هو بالفعل ما عليه واقع الأمة؟.

والمسلمة الثالثة بيان أنّ القول بالوسطية معيار لتحديد موقع الذات المسلمة بإزاء الآخر هو اجتهاد في الاتجاه الخطأ، ومحاولة لتفعيل الوسطية باعتبارها مبدءاً تاريخياً أو موقفاً استراتيجياً، والحقيقة أنّ الوسطية سمة جوهرية في الموقف الوجودي للأمة يرتفع بموجبه الحرج عن الآخر في تبني ذلك الموقف.

ولا خلاف على أنّ إعمال مبدأ التوسط في النظر في الأمور والحكم على القضايا والتعامل مع الوقائع هو التزام بسنة كونية ومعيار منطقي تحكيه شواهد الوجود، وعندما جاء القرآن ليؤكد هذا المبدأ وينوه به ويدعو إليه، ساق عدداً من الشواهد المبثوثة في سوره وآياته، فقد ورد مفهوم التوسط في مواقع عديدة من القرآن الكريم دل في كل منها على وجه من وجوه معنى الوسطية، فوردت مادة وسط مرتين في سورة البقرة في الآية الأولى مقترناً بوصف الأمة والأخرى بوصف الصلاة "الصلاة الوسطى" وجاءت بصيغة التفضيل (مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ) (المائدة:89) "وقال أوسطهم" في سورة القلم، وبصيغة الماضي في العاديات"فوسطن" غير أن الآية الأم في معنى الوسطية في القرآن الكريم هي قوله تعالى في ثاني سور القرآن (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (البقرة: 143).

ولئن كان الخطاب في **جعلناكم** موجه لأمة المسلمين، فالمخاطِب وصاحب الخطاب هنا هو من جعلهم وهو الله جل في علاه؛ فهو الذي اختار للأمة موقعها الوسط، مما يعني أنّ وسطية الأمة أمر وجودي، متعلق بالحكمة والغاية من إيجاد هذه الأمة وليس موقف تاريخي أو اختيار ثقافي لها أو وصف للأمة المسلمة تقف على الوسط، ولم يقل وسطى أي أنها تتخذ موقع التوسط، بل قال وسط أي أنها هي ذاتها نقطة الوسط، ومن ثم هي في موضع جعلت فيه ولم تتحرك إليه. وهو أمر متعلق بشهادتها على الناس، فما هي مقتضيات ذلك الموقع؟ وتأتي الإجابة في مختتم الآية (الشهود) إنها أمة الشهادة فالرسول هو الشاهد الأول وشهادته أولاً على أمته ومن ثم يشهد هو وأمته على العالم، والمراد بالعالم كل شيء من العرش إلى الفرش ما خلا الله، والشهادة هنا على الناس وليس على ثقافة بعينها أو دولة أو حضارة.

ومن ثم فإنّ من الخطأ إسقاط مفهوم الوسطية على الدين بدلالته المطلقة، فالدين يقوم على الإيمان والإيمان يقوم على الحق والحق لا يقبل التعدد، لذلك جاء القرآن حاسماً في وصفه للدين في إطار تعلقه بالله فقال تعالى(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (آل عمران:85) أي التسليم لله، طبعاً هذا على المستوى المعياري الوجودي والمطلق، فالدين في صورته المثالية المعيارية المطلقة هو الإسلام لله، ودلائل هذه الإطلاقية أنه لا يتعلق إلا بالله، أما الدين في معتقد البشر فله معانٍ شتى وصور متعددة ليس هذا مقام مناقشتها ..

وعادة ما تعتبر الدعوات الدينية مهمة إنقاذ البشرية تحدٍ يعنيها، وللإسلام دعاة من الذين سعوا ليكونوا على مستوى دينهم وعصرهم معتبرين تلك المهمة في الإنقاذ مسؤولية عامة تمتدُّ في الزمان والمكان والإنسان، "هي خطاب الرحمة، وشريعة التخفيف، ورفع الحرج والأغلال، والرفق بالناس كل الناس في الأرض كل الأرض، وعليه ينبغي بتلك المهمة وعياً جيداً، والعمل كدعاة لا قضاة، ومصلحون لا ثوار، وبناؤون لا هدّامون، وراحمون لا حاقدون، والعمل بروح الأب مع أبنائه، والطبيب مع مرضاه، لا بروح السـجَّان الذي يبطش، والموتور الذي ينتقم. حين يفعل الدعاة ذلك يكونون راشدين بل مرشدين، ومهتدين بل هادين، والأنفع لعباد الله عزّ وجلّ، والخلق عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله، عندها سيعطيهم الناس -وعن طواعية – زمام قيادتهم إلى الخير والنور والسلام"[6].

الدعوة الإسلامية على المستوى الدولي:

وتبدو الدعوة الإسلامية في سياقات التفعيل والممارسة ظاهرةً اجتماعية ثقافية وسلوك إنساني ديني وهي بذلك موضوع ذو وجوه متعددة وأبعاد متداخلة؛ مما يجعل الدراسة الشاملة لها تستدعي نوعاً من التكامل بين العلوم المتخصصة في كل بعد من هذه الأبعاد، حيث تحتوي ظاهرة الدعوة إلى جانب البعد الديني والعقائدي بعداً اجتماعياً تواصلياً، يفرض على بحوث الاتصال السعي لدراسة الأنشطة والممارسات التواصلية في المجتمع ومن بينها (الدعوة) النشاط الاتصالي الأهم في المجتمعات الإسلامية، الا أن ثمة إشكالات تعيق هذا النوع من التفكير في ظواهر التواصل الدعوي الجارية بقوة ضمن تفاعلات الواقع الإنساني فيما وراء البحار عبر الهجرات والنزوحات العملاقة التي يعيشها إنسان القرن ال 21 الميلادي، أو داخل شبكات التواصل التي اختزلت المسافات وقربت الأنفاس بين ملايين ينتمون إلى ثقافات متباينة في طبيعتها ومتناحرة أحياناً ولكنها أصبحت شديدة التواصل.

---

[6] بتصرف من الطالب ,هشام: ميثاق الشرف الدعوي، مرجع سابق، بدون تاريخ ص 17

ومن الإشكالات الكبرى التي أصابت العقل الدعوي المعاصر مشكلة الوعي بفقه المآلات عموماً وفقه المقاصد خصوصاً. ويتولد الإشكال المقصدي عندما تفتقد الممارسة الدعوية أصالتها من ناحية وغائيتها من ناحية أخرى، أو عندما تقع بين قوس النمطية والتقليد وقوس العدمية والفوضى، على نحو ما يعكسه واقع الاتصال في نهايات القرن الخامس عشر الهجري وبدايات القرن 21 الميلادي، مما يبدو معه الخطاب الدعوي ذاهلاً عن مقاصد الشارع ومتطلبات الواقع. من حيث نوع الموضوعات والأفكار ومناهج المعالجة ولغة الخطاب، والخطاب الإعلامي غارقاً في التنشيوء والمادي مغفلاً للأبعاد الكونية للوجود البشري، حفياً بقيم الكسب واللذة، والهيمنة والسيطرة، وقد يعمل الخطاب الدعوي في توظيفاته السالبة على تضليل الوعي وتهديد الاستقرار ومن ثم الإفساد بدل الاصلاح وتضييع الأموال والأنفس والثمرات بحسن نية أحياناً ، وبإرادة معادية للإسلام ديناً وللمسلمين أمة في أحايين أخرى .

وللدعوة غاية أخلاقية عامة وهي الإصلاح في الأرض، وغاية اجتماعية وهي الحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية، وغاية اتصالية وهي إلبلاغ المبين لرسالة الإسلام.كما أن الدعوة وظيفة إسلامية عامة، فإن لها وظائف عملية خاصة. ويتشابك تنزيل هذه المعاني والمقاصد مع مفهوم النظام الاتصالي الإسلامي وهو ما سنتوسع في بيانه في موضعه من هذه الدراسة..

ثالثاً: المقاصد الكلية للفعل الدعوي:

يراد بالمقاصد هنا المآلات المتوقعة للفعل والمترتبة عليه في صورتها الكلية وتأثيرها العام في حياة الأمة المسلمة ونظام مجتمع التوحيد. ولا تتعلق المقاصد بالمآلات الأخروية للفعل من جزاء وثواب وعقاب، وإنما يرتبط المقصد بنهايات عملية واضحة وملحوظة، وإذا كان التركيز في اعتبار المقاصد هو تحقيق مراد الشارع والمكلف، فإن المقصد الأم للدعوة الإسلامية هو (إقامة الدين).

وتعلق الدعوة من هذا الجانب بكلية (حفظ الدين) أمر ظاهر من حيث الوجود بنشره وإيصال شريعته إلى العالمين وإبلاغ رسالته وإلى أقصى مدى من أطراف المعمورة.. وحفظ الدين من حيث العدم بالمحافظة عليه في معناه دفاعاً عن حقيقته وموضوعه باستبقاء واستدامة وتجدد حملته والمدافعة عنه والجهاد في سبيله ، وبذلك كانت الدعوة أكمل درجات الجهاد "وجاهدهم به جهاداً كبيرا" .

قال تعالى :(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (التحريم :9).

وقد يتصور البعض ترتيباً على ما سبق ولما يلازم الدعوة من الابتلاء في النفس والمال والولد، أنها تشوش على معنى "المقاصد" وتتعارض مع بعض كلياتها مثل حفظ النفس وحفظ المال وحفظ العرض.. وهو ما يدعو لإمعان النظر في علاقة الدعوة بالكليات الخمس. وجواب ذلك و المعتبر في المقاصد أنه (كما أوضح إبن عاشور) هو أثرها الكلي العام على جميع الأمة وجملة مجتمع التوحيد، فإذا كان ظاهر التزام الدعوة والقيام بها المشقة والابتلاء، فإنّ مآلها هو تحقيق الأمن والاستقرار والرخاء.

قال تعالى :(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) (الأنعام:82).كما أنّ تكليف الله المؤمنين ليس مراداً به إشقاؤهم وإلا ما كلف بالدعوة خيرة خلق الله وأحبهم إليه، فقد قال تعالى مخاطباً نبيه في أول سورة طه: (طه 1 مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ) (طه:1-2).

وتفعيل المقاصد ضمن مكونات الرؤية الدعوية كفيل بتعزيز خطابها وذلك ناتج من عدة عوامل لعل منها خصائص الخطاب المقاصدي نفسه وما يميزه من الأصالة في المنطلقات والتماسك الداخلي بين مكونات الرؤية والشمول في التعامل مع مكونات الوجود الإنساني.

1. **الأصالة:**

وتتولد أصالة المقاصد من وضوح علاقتها بأصول الديانة، ومن الطبيعي ونحن نتحدث عن مقاصد الدعوة والاتصال، أن يكون تصورنا للمقاصد -الذي أصَّل له علماء الشَّريعة- نابع من علاقتها بالأصول والقواعد التي يستند إليها مفهوم الدعوة والمتمثلة في كتاب الله الكريم وسنة نبيه الخاتم. وقد أسهب علماء الأصول في بيان علاقة المقاصد -في عمومها أو في حالة تخصيصها في الكليات الخمس المعلومة- بأصول الديانة، وتوضيح صلتها بالكتاب والسنة.

2. **التماسك الداخلي:**

النابع من علاقة تلك العناصر فيما بينها. حيث يبدو أنّ مقصد حفظ النفس يقع في المركز وعنه يتفرع حفظ النسل إنجاباً وتربية والمال إنتاجاً وإنفاقاً والنفس إلى جانب ما سبق هي موضوع عمل الدين معتقداً وعبادة، والعقل معياراً ومعرفة والمقصد في كل ما سبق من المعاني الكلية لتلك العناصر الخمس لا أفرادها، فالمقصود بحفظ النفس هو تحقيق بقاء جملة النوع البشري وحفظه من الإنقراض بما يستتبع استدامة بقائه ويتبع ذلك استدامة التجربة والمشروع البشري.

وعلى مستوى الدين وتنزيهه من العقائد الفاسدة والمعتقدات المهلكة لذوات المتدينين والمخربة للوجود البشري، واستدامة عطاء العقل الإنساني بزيادة فيه ذكاءً كلياً ورشداً عاماً

ينأى به عن الأفكار المدمرة للوجود الاعتقادي في الله باعتباره مركزاً والإنسان كموضوع له والكون كبيئة ومحيط لوجوده.

3. **الشمول:**

ومن هنا يظهر أنّ علاقة المقاصد الشرعية والوجود الإنساني هي علاقة كلية لها تجلياتها على الأنظمة الاجتماعية؛ فعلى مستوى النظام الاتصالي نجد عناصر الاتصال الإنساني حاضرة في بنية هذه الكليات. فالمكون البشري لعملية الاتصال والمتمثل في المرسل والمستقبل مستوعب في كلية حفظ النفس، بينما يرتبط عنصر الوسيلة بكلية حفظ المال وترتبط الرسالة بكلية حفظ العقل، وبهذا المعنى يعود مقصد حفظ النوع البشري ليصبح أحد أهم مقاصد الاتصال الهادف لتحقيق الفهم المشترك والتعايش السلمي بين بني البشر.

ثالثاً:حدود المنظور المقاصدي للفعل الدعوي:

وقد جرى الاجتهاد المقاصدي في توسيع أفق المقاصد للخروج بها من الانحصار في حدود التدين الفردي، ولعل أكبر الإضافات الاجتهادية هي ما أضافه ابن عاشور حيث إنّ المقصد العام للتشريع هو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو نوع الإنسان، ويشمل صلاحه صلاح عقله، وصلاح عمله، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه"[7]. وهو المقصد الكلي لنظم الحياة الإسلامية ومنها النظام الإتصالي لكونها تابعة لنظام التشريع ومندرجة تحته ومحتكمة إليه. وفي ذلك يقول ابن عاشور في مقدمة كتابه: "مصطلحي إذا أطلقتُ لفظ التشريع أني أريدُ به ما هو قانونٌ للأمة ولا أريد به مطلق الشيء المشروع، فالمندوب والمكروه ليسا بِمُراديْنِ لي "مقرراً بذلك أنّ علم مقاصد الشريعة علمٌ يتناول الموضوعات العامة ذات الصبغة الجماعية، وأنّ الأحكام التي يأمل أن يؤسس قواعدها هي أحكامٌ تتناول المجتمع والأمة والجامعة الإسلامية ،ويتابع قائلاً : "كما أرى أنّ أحكام العبادات جديرةٌ بأن تُسمى بالديانة ولها أسرارٌ أخرى تتعلق بسياسة النفس وإصلاح الفرد الذي يلتئم منه المجتمع". وعند مقارنة طرح ابن عاشور بما قدَّمهُ الشاطبي الرائد في عالم المقاصد نجد الأخير قد مزج في كتابه "الموافقات" في تعريفه للمقاصد الضرورية بين الدنيا والآخرة لأنّ بُعدَ الأمة لم يكن حاضراً في كتابته . أما ابن عاشور فإنه يقرر بوضوح: "فالشرائع كلها وبخاصةٍ شريعة الإسلام جاءت لما فيه صلاح البشر في العاجل والآجل، أي في حاضر الأمور وعواقبها، وليس المراد بالأجل أمور الآخرة لأنّ

[7] أنظر، بن عاشور، محمد الطاهر مقاصد الشريعة الإسلامية، ، ص: 63.
و الفاسي، علال، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، ص: 46.

الشرائع لا تُحددُ للناس سيرهم في الآخرة، ولكن الآخرة جعلها الله جزاء على الأحوال التي كانوا عليها في الدنيا"[8].

ومن هنا لا نرى غرابةً في أنّ الشاطبي يكتب للفرد ويُحددُ مقصد الشريعة بأنه إخراج العبد عن داعيةِ هواهُ ليكون عبداً لله ، ويمزج بين الدنيا والآخرة ويتكلم عن التكاليف بأن منها ما هو معقول المعنى - أي أنّ باستطاعة البشر إدراك المعاني والحِكَمْ الكامنة وراء تكليفهم بها - ومنها ما هو غير معقول المعنى ..

أما ابن عاشور فحيث أنه وضع الأمة كإطارٍ للبحث في المقاصد فقد كان من المناسب تماماً أن يفصل بين الحديث عن المقاصد وبين أحكام الآخرة، لأنّ الآخرة هي جزاءٌ للأفراد (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) (مريم:95) (وكذلك فإنه يكتب عن الأمة ، والجزاء الجماعي للأمة هو في الدنيا ، كما أنّ المسؤولية عما تتورط فيه الأمة مسؤولية جماعية (واتقوا فتنةً لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) ومن الصعب إدخال النيات ومقاصد الأفراد في صياغة الأحكام الجماعية. ولذلك فقد وصف ابن عاشور التشريع بأنه قانون الأمة.

وإنّ من الواضح أنه عندما يكون الحديث عن الأفراد كإطارٍ للمقاصد، فإنّ من الطبيعي أن تتوسع دائرة التعبد وغير معقول المعنى لأفراد الناس ، لأنّ الفرد مُطالبٌ بالإيمان بالغيب، ومُطالبٌ بالإيمان بالمُتشَابه من آيات الصفات دون كيف ، ومُطالبٌ بالإحالة إلى التسليم عند الشك، ومُطالبٌ بمخالفة الهوى، ومُطالبٌ بإصلاح النية والقصد والتوجه ولو لم يعلم على التفصيل حكمة ما طُولبَ به من عبادات وشعائر ونُسكٍ وأوامر ونواهٍ .

وكلما تجاوز الأمر العباديُّ الفرد وأُعطي بصيغةٍ تمس الأمة والجماعة توسعت دائرة التعقل مستوعبة ما تعذر فهمه على الأفراد ، وتوسَّع العلماء في الحديث عن المصالح والحِكَم. ولا تجد من ينكر المعاني والمصالح الكامنة وراء اجتماع المسلمين للصلاة والجمعة والأعياد والزكاة والصدقات وصلة الأرحام وعيادة المرضى والمواساة وغير ذلك من الأمور ..حتى إذا وصل الأمر إلى ترتيب مصالح المسلمين العامة في الدنيا كان من الطبيعي أن تضيق بل وتنتهي دائرة غير معقول المعنى لأنّ ذلك ألصقُ بطبيعة التدين الفردي الذي مال ابن عاشور إلى تسمية أحكامه بالديانة تمييزاً لها عن التشَّريع الذي خصّهُ بمجال الأمة. هو ما يعبر عنه ابن عاشور بإيجاز وبلاغة وهو يتحدث عن حاجة الفقيه إلى معرفة مقاصد الشَّريعة بحيث تضيق مساحة القضايا التي لا يعرف علل أحكامها أو حكمة الشارع في

---

[8] أدهمي، رياض : بُعد الأمة في الخطاب المقاصدي عند الإمام ابن عاشور، مقال على موقع الرشاد http://www.alrashad.org، المقالات/الشريعة-والمقاصد/بعد-الأمة-في-الخطاب-المقاصدي-**عند-الإمام-ابن-عاشور**.html

تشريعها بقدر ما يتحصّلُ له من الفهم العميق والربط الوثيق بين أوضاع الأمة ومقاصد التشّريع .

أما الأفعال فمرتهنة بمقاصدها ابتداءً وأهم أعمال التعبد في هذا الجانب هو الدعوة إلى الله التي وضعها أصحاب الاجتهاد من علماء المقاصد في أعلى هرم أهداف التشريع الإسلامي واضعين (تبليغ شريعة الله للناس كافة) في مقدمة مقاصد التشريع فقد خلق الله تعالى الإنسان لغايات أهمها: عبادة الله تعالى وعدم الشرك به ، قال الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات:56)؛ ولتحقيق هذا الهدف أرسل الله رسله للعباد. حيث يبين القرآن أنّ الهدف من إرسال الأنبياء والرسل هو:

1. دعوة الناس إلى عبادة الله تعالى وتحريرهم من عبودية غيره من طواغيت وطبيعة ، قال الله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) (الأنبياء:25).
2. تعليم الناس دستور السماء بما فيه من عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات، ونظام سياسي واجتماعي واقتصادي وتربوي وجهادي وتعليمي، ثم وجوب العمل بما تعلموه وتطبيق ذلك تطبيقاً كاملاً في جميع مرافق الحياة، وأن تحكيم غير ذلك في مجال علاقات الأفراد والأسر والجماعة خروجاً من الايمان.
3. التعليم تأديب وتزكية وإصلاح الناس جميعاً. قال الله تعالى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الجمعة:2)"

تبدو المسألة أوضح إذا اعتبرنا أنّ حفظ النفس يشمل العنصرين الأهم في عملية التواصل وهما المرسل والمتلقي متضمناً أنّ يعمل الاتصال على حفظ عقله وحفظ نسله وعرضه وجوداً وعدماً، بينما يشمل حفظ المال المكون المادي من عملية الاتصال والذي يتمثل في الوسائل والوسائط والأجهزة والمعدات، أما حفظ الدين فموضعه في حركة الاتصال والتواصل هو الرسالة؛ ومكانه هو محتوى وسائل الاتصال والمضامين التي تتناقل عبرها صحافة كانت أم إذاعة أم تلفاز أو انترنت أو غير ذلك من الوسائط وصيغ التواصل الدائبة التطور والتغير.

مقاصد الفعل الدعوي واتجاهات المتفاعلين:

ومقاصد الفعل الدعوي من حيث اتجاهات الأفراد رهن بنوايا الفاعلين، "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة

ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[9] وينقسم الفاعلون (الدعاة) تبعاً لذلك إلى ثلاثة أقسام وهي دعاة صالحون مصلحون وأعلاهم الأنبياء والمرسلون واتباعهم من المصلحين. ودعاة صالحون في ذواتهم مفسدون بدعواتهم. وهم متعاطفون جاهلون يفسدون من حيث يريدون الإصلاح. ودعاة فاسدون مفسدون وهم المناوئون لإرادة الاصلاح ابتداءً والمحادون لله ورسوله من الكافرين والمنافقين. وقد فصلت سور القرآن[10] في بيان شأن المجموعات الثلاث والتفريق بينها. إلا أنّ ما يميز المقاربة المقاصدية للفعل الدعوي هو كونها محاولة لمغادرة موقع الذاتية ووضع الأحكام بشأن موقف هذه الفئات من الدعوة في سياق قابل للعرض والتوصيف الموضوعي ومن ثم التقويم العادل.

المقاصد الاتصالية للدعاة والمدعوين:

ويمكن تقسيم المقاصد الدعوية إلى مقاصد عامة تتعلق بالدعوة كعملية ومقاصد خاصة تتعلق بالقائم بالاتصال من الدعاة ومقاصد خاصة بمن تقع عليه الدعوة من المدعوين.

والسؤال هنا عن مدى التوافق بين القصد في كلٍ من القائم بالاتصال الدعوي، والمتلقي للرسالة الدعوية مع المقاصد العامة للدعوة والمقاصد الكلية للأمة، ومن المعلوم أن المقصد الكلي للداعية هو البلاغ المبين، ومقصده تجاه المدعو هو تقبل الرسالة والاستجابة لها، ومقصد المتلقي في أي موقف اتصالي هو استيعاب الرسالة ومقابلتها بالاستجابة المناسبة.

وتتأثر حركة الدعوة بحركة الدعاة التي تحتاج إلى إعمال فقه المقاصد وتفعيله بينهم، وتدريسهم لقواعده، واهتمام مؤسسات الدعوة ووزارات الأوقاف به، وبيان أهميته لهم وخطورة غيابه عن ممارستهم للدعوة. فإذا كان مقصد المكلف في التزام مراد الله هو أن يكون عبداً لله اختياراً كما هو عبد لله اضطراراً، فإنّ الداعية مطالب بأن مقصده الدعوي هو أن يكون داعية إلى الله بالفعل بعد أن كان داعية له بالقوة، فمجرد كون الإنسان مسلم تقرأ أفعاله باعتبارها تمثيل للإسلام سواء كانت تلك الأفعال مطابقة لروح الإسلام أو مخالفة له، وهي بذلك تقرأ من قبل الآخر ما يجعل المسلم داعية في كل وقت وعلى أية حال وقد سمى القرآن من يسيء إلى الاسلام بتكرار الزلل صاداً عن سبيل الله(وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ

---

[9] من حديث ":عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم يقول: " إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه . "متفق عليه إقرأ المزيد على موضوع.كوم :
http://mawdoo3.com/%D8%AA%D8%AE%D8%B1%D9%8A%D8%AC_%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB_%D8%A5%D9%86%D9%85%D8%A7_%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B9%D9%85%D8%A7%D9%84_%D8%A8%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%8A%D8%A7%D8%AA

[10] خاصة سور البقرة والمجادلة والمنافقون.

دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (النحل:94) وورد في الأثر " إِنَّمَا الْمُسْلِمُونَ عَلَى الإِسْلامِ بِمَنْزِلَةِ الْحِصْنِ ، فَإِذَا أَحْدَثَ الْمُسْلِمُ حَدَثًا ثُغِرَ فِي الإِسْلامِ مِنْ قِبَلِهِ ، فَإِنْ أَحْدَثَ الْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ فَاثْبُتْ أَنْتَ عَلَى الأَمْرِ الَّذِي لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ لَقَامَ الدِّينُ لِلَّهِ بِالأَمْرِ الَّذِي أَرَادَهُ مِنْ خَلْقِهِ لا يُؤْتَى الإِسْلامُ مِنْ قِبَلِكَ "[11].

المقاصد وأهميتها للداعية:

ويحتاج الدعاة في هذا العصر إلى جانب معرفتهم بفقه واقعهم إلى مزيد من العلم ومزيد من التعمق في فقه الدعوة وفقه المقاصد ، فمن ثمرات مراعاة المقاصد وتفعيلها في العمل الدعوي تضييق دوائر الخلاف بين الدعاة وأتباعهم، وبناء وتعزيز العقلية المقاصدية والتفكير المقاصدي عند الدعاة والقائمين على الدعوة؛ ليظهر ذلك في مواقفهم وأولوياتهم ومعالجاتهم للأمور حسب مقاصدها ومراتبها ومآلاتها، والقدرة على بيان محاسن الإسلام وحِكَمه التي لا تظهر على تمامها وعلى حقيقتها إلا ببيان مقاصدها ومصالحها، والتمكن من تحسين تدين المسلمين وفي مقدمتهم أهل الدعوة أنفسهم، والارتقاء بهذا التدين من الصورية والظاهرية والتقليدية، إلى الوعي والإتقان والإحسان، وتحقيق مقاصد التكاليف الشرعية، و ترتيب الأولويات، والاختيار الصحيح للوسائل والتجديد فيها"[12].

والمدعوون في اتجاهاتهم نحو الخطاب الدعوي أنواع فمنهم الحادب والراغب في تلقي الدعوة والاستجابة لها، كما تظهر سورة عبس التي توضح أنّ أهم المقاصد المحتملة للمتلقي الدعوة، طلب التزكية ، أو التذكرة أو الخشية والاستجابة لهذا النوع من المقاصد بأن يتصدى له الداعية استجابة وترحيباً والعكس بالعكس مع من استغنى عن الرسالة الدعوية وبخل عليها بوقته وجهده.

وقد اهتم النبي بردود أفعال المؤمنين وحفزها بكثير من الموجهات الهادية لتفاعلهم والمنظمة لاستجاباتهم بما يحقق مصالحهم ومصالح أقوامهم ومصالح الأمة من بعد ذلك فقال صلى اله عليه وسلم " الحديث روي من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً ، تَقُولُونَ : إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا ، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا ، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا ، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا) رواه الترمذي ".وزكى القرآن استجابة المؤمنين لأي خطاب قولي فقال(الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) (الزمر:18) ومع الحاجة القائمة إلى الترجيح والتخيير وهي التي يحتاج

---

[11] من حديث رواه مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ ، عن أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحُوَارِيِّ ، عن إِسْحَاقُ بْنُ خَلَفٍ .

[12] أبو زيد، وصفي عاشور: الدعوة بلا مقاصد يترتب عليها مشكلات وسلبيات لا تحصر(حوار)موقع رسالة الاسلام بتاريخ13/11/1432 الموافق 2011/10/11 على الرابط:
46http://main.islammessage.com/newspage.aspx?id=103

المسلم للمقاصد كمعيار للخيارات الاجتماعية، لكونها تهدي لما يحقق الاهداف الكلية والمقاصد النهائية للفرد وللأمة. والسؤال هنا: هل يعمل نظام الاتصال الإسلامي فعليا وفق هذا المنطق؟.

الوظيفة الدعوية في نظم الاتصال الاسلامية:

ولا تزال ثورة الاتصال والمعلومات تفجر من الوقائع ما يستوجب الاجتهاد المباشر خاصة عندما تثار قضايا الاتصال في سياقات قانونية وتشريعية، وتجري الممارسة الاتصالية من نواحيها الفقهية والقانونية لتنظر إلى بعض صيغ التعامل الإعلامي من منظور الحل والحرمة أو التجريم والتبرئة، ومن البحوث الدالة في هذا الجانب بحث حمل عنوان "تجريم التضليل الإعلامي: دراسة تأصيلية" وقد طرحت سؤالها الجريء هل التضليل الإعلامي جريمة قانونية تستوجب المساءلة الجنائية؟ والمقصود بجريمة التضليل الإعلامي تضليل الرأي العام عبر وسائل الإعلام المختلفة عن طريق عدم تقييد الإعلام بضوابط العملية الإعلامية، وتعمد الامتناع عن نشر الحقيقة في موضوع معين، أو تعمد إخفاء جانب منها، أو استخدام أحد أشكال التضليل الإعلامي عند تناول الأخبار. وانتهى إلى أن التضليل الإعلامي جريمة جنائية، لها ثلاثة أركان: الركن الشرعي، والركن المادي، والركن المعنوي. وجاء في توصياتها: حث وسائل الاتصال الجماهيري على الالتزام بضوابط العمل الإعلامي، وما جاء في مواثيق الشرف الإعلامي، وعدم مخالفة هذه المواثيق. وجعل مواقع التواصل الاجتماعي وسيلة لنشر المعارف الكونية والعلوم الإنسانية، مع مراعاة خصوصيات الشريعة الإسلامية. وينبه هذا النوع من المعالجات إلى أهمية إعطاء مدخل التأصيل الفقهي ما يستحق من أهمية.[13] وهو ما يؤكد الحاجة إلى تطوير فقهنا في التواصل وفي قواعد الوسائل أمر لازم لتعميق فهمنا لظواهر الاتصال والتواصل ولتوسيع رؤيتنا التواصلية بالنحو الذي يناسب ويتناسب مع حجم الرسالة الوجودية لأمة الإسلام.

لقد سعت بعض الدراسات القليلة في مجال الاتصال الدعوي للتأكيد على أنّ الوظيفة الدعوية ينبغي أن تظل هي الوظيفة الأكثر أهمية وإلحاحاً في سلم الوظائف الاتصالية للمجتمعات الإسلامية المعاصرة، وذلك من خلال بيان ما يمكن أن تقدمه ثورة الاتصال في جانب الاتصال الدعوي من خلال التأسيس علمياً للبنية التواصلية المعيارية للمجتمعات الإسلامية، والاستكشاف العلمي والمنهجي للآثار التي تتركها عليها ثورة الاتصال والمعلومات. من خلال التأسيس المنهجي للدراسات الدعوية[14]. وهي أمور حاضرة في

---

[13] العصيمي، محمد بن علي" .et al, تجريم التضليل الإعلامي: دراسة تأصيلية/إعداد محمد بن علي العصيمي؛ إشراف إياد أحمد محمد إبراهيم؛ مناقشة جلال الدين محمد صالح، مسفر بن عبد الله البشر." (2014).

[14] أنظر: العوض، محمد بابكر: الاتصال الدعوي في المجتمعات الإسلامية المعاصرة: دراسة منهجية في اطار التكامل المعرفي، مجلة تفكُّر، مجلد (11)، عدد (2)، 2011م / 1432هـ ص87

أصول الوعي الإسلامي، فقد نبه القرآن لما في الاتصال في صورته اللفظية من تجل لعظمة الخلق الإلهي الذي زود الإنسان بملكات معنوية تزيد من قوته وقدرته على التحكم في أبعاد الزمان والمكان في تجربته على الأرض عارضاً ذلك في إطار من التلازم فقال تعالى في سورة الرحمن (الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ القُرْآنَ. خَلَقَ الإِنسَانَ. عَلَّمَهُ البَيَانَ) (الرحمن:1-4) وقال في تأكيده على خطورة التعامل مع هذه القوة التي ميزت الجنس البشري عن غيره من المخلوقات فقال (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ* تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) (إبراهيم:24-27).

وقد جسَّد النبي (ﷺ) بسيرته العطرة وقرر في سنته المباركة (تصريحاً) أفضل شاهد على أهمية البلاغة وقوة التعبير بالنسبة للداعية فقال (ﷺ) " أعطيت جوامع".[15]

وقال في قوة التأثير بالكلمات "إن من البيان لسحراً"[16]، وأشار في ذات الوقت إلى الاتصال غير اللفظي وما يحمله من دلالات تواصلية؛ ولكنه أكد على أنّ المعوَّل في كل ذلك هو الغاية المترتبة على الاتصال والأهداف التي يخدمها والمآلات التي سينتهي إليها.. كما ندد بالتوظيف السلبي لقوة الاتصال ممثلة في قوة التعبير وسحر البيان بما يؤكد قوله تعالى(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) (لقمان:6). ونبه على حقيقة الرقابة الإلهية على الفعل التواصلي تعزيزاً لقوله جل وعلا":(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (المجادلة:7).

رابعاً:وسطية نظام الاتصال الإسلامي:

لا يمكن للفعل الدعوي أن يكون فعلاً عبثياً ذاهلاً عن مقاصده ولا سلوكاً فوضوياً غافلاً عن غاياته، بل أنّ حاله مطابق لحقيقة كل (أنواع الاتصال) فعل قاصد سواء صرح المتفاعلون فيه عن مقاصدهم أو أضمروها. وتعتبر الموضوعية قيمة حاكمة في تناول الآراء والأخبار وأهمية أن يكون القائم بالاتصال محايداً في تناوله للقضايا غير منحاز في حكمه على الموقف موضوع التناول.

---

[15] مسند الإمام أحمد بن حنبل،7576،7448...

[16] رواه البخاري باب إن من البيان لسحر الحديث

على المستوى الكلي لأنظمة الاتصال المتقابلة يصبح من الضروري الاعتراف بالتحيزات الحتمية أيدلوجية كانت أو ثقافية. وقد نشأت مع نضج وتطور البنية النظرية لعلوم الاتصال أطروحات تؤكد على أهمية الإلتزام الثقافي الاجتماعي والانتظام ضمن نسق تواصلي محدد الغايات والمقاصد على نحو ما توضح نظريات نظم الإعلام الأربعة التي صنفت نظم الاتصال إلى أربع فئات هي:

النظام السلطوي، ونظام الاتصال الحر، ونظام الاتصال الاشتراكي ونظام المسؤولية الاجتماعية. وترتبط هذه النظم الإعلامية إلى حد كبير بنوع الفكر السياسي أو الفلسفة التي تنتهجها الدولة التي تعمل في ظلها لما أسموه أنظمة الصحافة الأربعة، وقد مثل ذلك التقسيم التاريخي البداية التي تطورت عنها المحاولات اللاحقة لتحليل النظم الإعلامية، وقد تميز ذلك التصنيف الرباعي بتقسيمه لأنظمة الاتصال بحسب مرجعياتها الأيدلوجية؛ فجاءت فئات التصنيف بعناوين النظام الحر، والنظام الاشتراكي، والنظام السلطوي، ونظام المسؤولية الاجتماعية كما يبرز في الجدول الآتي، وعرضت بإزاء هذا التصنيف العديد من الاستدراكات منها ما تم داخل الإطار الإسلامي، وطرح بعضهم بإزائها نظام وسطي يجمع بعض خصائص الأنظمة الرأسمالية والاشتراكية والاجتماعية والسلطوية.

ويؤكِّد الإسلام كرؤية حضارية والتزام أممي على الوسطية ضمن جملة من الحقائق المؤسسة للرؤية الاتصالية الإسلامية، وذلك من خلال تأكيده على حقيقة الاختلاف والتباين كسمة وجودية للاجتماع الإنساني. مما ترتب عليه حقيقة حرية الاختيار العقدي والفكري باعتبارها حقاً أزلياً للإنسان وامتيازاً أبدياً تتأسس عليه حقيقة التباين المذهبي والفكري والعقدي بين البشر(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (المائدة:48). وأخيراً حقيقة وسطية الأمة الإسلامية وخيريتها وشهودها الحضاري على الأمم كممثل لرسالة التوحيد وحضارة الإسلام الذي يعتنقه ما يفوق 23.2% من سكان العالم[17].

وإذا تقررت الوسطية خصوصية حضارية للأمة الإسلامية وحقيقة ماثلة تضافر على تأكيدها الشرع والعقل، يصبح موضوعياً القول بوجود نظام اتصالي (وسطي) يعمل في إطار المنظومة الحضارية الإسلامية، تحاسب وسائل ومؤسسات الإعلام العاملة في

---

[17] Pew Research .*Public Life & The Pew Forum on Religion*."The Global Religious Landscape December 2012 center.18.اطلع عليه بتاريخ 18 March 2013.

المجتمعات الإسلامية، وتعامل على أنها تمثل النظام الإسلامي للاتصال بغض النظر عما تقدمه من مضامين وما تحتكم إليه من مرجعيات.

جدول النظام الإعلامي والفلسفة السياسية

الرقم	النظام الإعلامي	الفلسفة السياسية
1	النظام الحر	الديموقراطي اللبرالية
2	النظام الاشتراكي	الشيوعية
3	النظام السلطوي	الأنظمة الشمولية
4	نظام المسؤولية الاجتماعية	الديمقراطيات الاجتماعية
5	نظام الوسطية	الإسلامية

فما هي طبيعة نظام الوسطية في الاتصال من حيث منظومة القيم التواصلية الحاكمة فيه، ووظائف الاتصال التي يحققها النظام؟.

"يتفق معظم الناس، على اختلاف عقائدهم وتعدد أنظمة حياتهم، على ضرورة ضبط حياة الإنسان بعدد من القيم التي توجه تصوره وسلوكه، فما القيم التي يتفق الناس على ضرورة قيام حياتهم عليها؟ وكيف تتعاضد هذه القيم فيما بينها لتشكل منظومة قيمية تتكامل عناصرها؟ وكيف نميز بين مستويات القيم فنقدم بعضها في الترتيب والأهمية، أو نلاحظ أنّ بعضها فرع مشتق عن أصل؟ وما معيار الترتيب في الأهمية أو تحديد الأصل والفرع؟"[18].

كلنا يعلم أنّ ما أدركه الغرب أخيرًا من فتوحات في ميادين التقدم والقيم والعلوم الإنسانية هو امتداد لإسهامات الحضارة الإسلامية، ولا يوجد خلاف للمسلمين مع كثير من القيم العالمية السامية الرائجة اليوم، أو مع مقتضيات القانون الإنساني الدولي، بل يمكننا القول بكل فخر: إنّ هذه القيم امتداد لقيمنا" [19].

ولعل في القول بحتمية الالتزام القيمي لأي فعل اتصالي، مندوحة لأي مشروع للتوجيه القيمي للاتصال ووسائله. ونحن عندما نستعير مفهوم (الفعل الدعوي) من قاموس علوم الاتصال فإننا نشير إلى الفعل الدال على السلوك التواصلي في صوره المختلفة؛ فالاتصال عادة ما يبدو أكثر وضوحاً عند التعرض له في سياقاته العملية، بما يحققه من أهداف وما يستخدمه من وسائل ووسائط.

كما أنّ المناخ والبيئات التي تولدت خلالها أنظمة ووسائل الاتصال الحديثة تميل في الغالب إلى تعظيم البعد العملي في الحياة الإنسانية، وتعزف غالباً عن الاغراق في الجوانب القيمية والمثالات المعنوية. وهي ميول تتعارض بشكل جوهري مع توجهات المجتمعات الإسلامية، إنّ تعارض الأداة والعبادة الذي أشار إليه بيغوفيتش من قبل يبدو جلياً في مثل

[18] ملكاوي، فتحي حسن: منظومة القيم العليا التوحيد والتزكية والعمران، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: 2013، ص5

[19] أوغلو، أكمل الدين إحسان: الوسطية المستنيرة على الرابط : http://www.wasatia.org/wp-content/uploads/2010/05/2-1.pdf

هذه المواقف. في المنظور البراجماتي التام تكون الوسيلة هي الرسالة ومن ثم يكون الاستخدام والاستهلاك هو الحاجة المراد إشباعها، ويتحول الإنسان إلى كائن مجتر ثقافياً، وتصبح أنظمة الاتصال مشغولة بمواصلة الإنتاج لإشباع تلك الحاجات بما يكافئها من مستهلكات ثقافية وإعلامية، إذا قارنا ذلك بطرق التعامل مع الحاجات التواصلية في نظام الاتصال الوسطي، فمحور عمل النظام ليس هو الاحتياجات الوظيفية بالمفهوم المادي الدنيوي للوظيفة الإنسانية، فإذا كان جوهر نشاط الإنسان البراجماتي هو العمل فإنّ جوهر نشاط الإنسان الموحد هو العبادة، والعبادة مفهوم عام يشمل كل مستويات الفعل التواصلي من مستوى الاتصال الذاتي إلى مستويات الاتصال الجماهيري والاتصال عبر الثقافي، ويكافيء نظام الاتصال هذا النوع من الحاجات التواصلية المرتبطة بالعبادة منظومة من الشعائر والعبادات الراتبة، وعلى جلالة ذلك المثال للتواصل المعتد بالعبادة إلا أنّ هيمنة النموذج الدنيوي قد أفلحت في فرض دائرة من التضييق والتحكم والتهميش أحياناً لهذا النوع من نظم الاتصال ذات الجذور الدينية مما أضعف بنيانها وضعضع أركانها وحصرها بين المؤسسة الدينية، والتقاليد الثقافية، ويكاد نموذج "الحج" أحد أقدم وأثرى مظاهر الاتصال الإنساني وأكثرها انتظاماً، وأعمقها دلالة على مسيرة الأسرة الإنسانية منذ عهود الخلق الأولى وربطها بواقع هذه الأسرة التي تجيء كل عام ممثلة بكل تنوعاتها الشكلية وتباياناتها الثقافية وتلوناتها العرقية.

ومع بقاء الالتزام بالشعائر على حاله إلا أنّ كثيراً من الدلالات الكونية والدعوية لتلك الشعيرة الدالة في معانيها الكلية على وسطية الأمة وعراقة تقاليد الإيمان فيها، وموافقة الإسلام للمعاني الفطرية والتوجهات الجبلية للذات الإنسانية وتجسد شعائر الحج بقدسيتها ورمزيتها تسجيلاً حياً للتوافق مع مبتدأ ذلك الاعتقاد ومنتهاه، كما تجسد حالة الاجتماع الفعلي للأسرة البشرية بجذورها وأعراقها وثقافاتها المختلفة في مكان واحد وتوجهها نحو قبلة واحدة؛ ما يعكس مظهراً من مظاهر الشهود على الناس، ويحوي التراث الأدبي المتمحور حول رحلة الحج تعبيرات إنسانية راقية عن عمق التأثير الذي خلفته هذه الرحلة في نفوس المؤمنين –خاصة المسلمين الجدد- مما يتيح لباحثي الاتصال المسلمين إمكانية توسيع نطاقات التقصي والبحث في البعد التواصلي باعتباره أحد المقاصد الكلية لشعيرة الحج، والنظر لوسائل تحقيقها في المجتمعات المعاصرة.

الوظائف في نظم الاتصال الغربية:

وينتج عن غلبة الطابع الوظيفي إعلاء للقيم العملية، مما يتطلب الانتباه والوعي استحضاراً للمقاصد والغايات، فلا تكون الوسائل حاجبة لصاحبها عن الغايات والمقاصد. إلى جانب ما سبق فاعلة في تشكيل اتجاهات المضمون الاتصالي الذي يتوقع له أن يأتي تعبيراً عن اتجاهات الدعاة واستجابة لرغبات المدعوين وهو أمر تم ضبطه في أنظمة

الاتصال الحديثة عبر ما يعرف بوظائف الإعلام والاتصال. والتي لخصها ولبرشرام في (4) وظائف هي :

1/ الإعلام (Information) 2/ التعليم (Education) 3/ الإقناع (Persuasion) 4/الترفيه (Entertainment) وهو ما يتفق معه كل من على شمو وحسن محمد زين الذي ينتبه إلى الجزء المتعلق بالدعوة باعتبارها أقرب إلى الوظيفة الإقناعية ويقول أنها تقسّم في تصنيف شرام إلى:

- دعوة (Propagation) : الإعلام عن الأفكار والمعتقدات
- ودعاية(Propaganda): الإعلان عن السلع والخدمات

وهذه الوظائف ليست مفصولة عن بعضها فصلاً حاداً كما يتصور بعض الدارسين وهي في كثير من الأحيان متداخلة خاصة في مجالي التعليم والترفيه)[20]. وقد تتداخل الوظائف مع الأهداف كما هو الحال في الوظيفة الثالثة ،حيث إنّ أي عمل اتصالي والمتضمن للوظائف السابقة للإعلام أو التثقيف أو الدعاية والإعلان أو حتى الترفيه، يرمي دائماً إلى الوصول إلى إقناع المتلقي أو إغرائه بسلعة أو خدمة. ولا شك أنّ القول إنّ هذه الوظائف ليست مفصولة عن بعضها قول تؤيده كثير من الشواهد حيث إنّ أكثر من وظيفة يمكن أن تلتقي من خلال النشاط الاتصالي الواحد، ولعل ما يؤكد ذلك ما يمكن ملاحظته من خلال وسائل الاتصال التقليدية والحديثة، التي تعمد إلى الوصول إلى وظيفة التثقيف من خلال برامج المعلومات وهي برامج تدخل من باب وظيفة الإعلام أو الإخبار، أو بملاحظة برامج المسابقات، وهي في الأصل برامج ترفيهية، ولكنها تؤدي دوراً تثقيفياً أو تعليمياً. وهكذا غير أن كل ذلك لا يقوم مقام التأكيد على أن الإقناع هو وظيفة قائمة بذاتها. وإنما هي هدف أو غرض من أغراض الاتصال بشكل عام. ولعل ما يبرر وقوفنا عند وظيفة الإقناع هذه أنها ذات علاقة قوية بالدعوة.

تقتضي معرفة مهمة الداعية ووظيفته العودة إلى كتاب الله وسنة النبي (ﷺ) ، ومن خلال التدبر في القصص القرآني المتعلق بدعوة الأنبياء عليهم السلام، ندرك أنهم كانوا يقومون تجاه مجتمع الدَّعوة بجملة من الوظائف إلا أنّ أهمها وظيفة البلاغ، ووظيفة التعليم والتزكية، ووظيفة التنفيذ والتطبيق. واعتبارها أهم وظائف الدعوة، فقد عرّف بعض الباحثين المعاصرين الدعوة بأنها: " تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة[21]".

---

[20] علي محمد شمو ، الاتصال :الأساسيات والمهارات ، منشورات جامعة السودان المفتوحة ، الخرطوم ، 2006م ، ص 42 .

[21] سكحال، نور الدين، مادة مناهج الدعوة،،مطبوعة التدريس السنة الثانية ،جامعة الأمير عبد القادر،(الجزائر 2012م) ص2-3.

وكما ذكرنا آنفاً فإن الدعوة في السياق الاجتماعي تقتضي تعريفاً أكثر شمولاً يستوعب في ثناياه وظائف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحسبة العامة ومناصحة ولاة الأمر .. هذا بخلاف المهام التقليدية في العمل الدعوي مثل الأذان للصلاة والخطابة المسجدية والوعظ والإرشاد الاجتماعي.

الوظائف في نظام الاتصال الوسطي :

ينطلق نظام الاتصال الوسطي في تقريره لوظائفه من قاعدة إيمانية تستند إلى حقائق الوحي في توجيه مسيرة الحياة، ولعل الآية الأكثر دلالة في هذا المقام قوله تعالى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الجمعة:2)".

وتمثل الوظيفة الدينية روح الممارسة الدعوية وتتجلى هذه الوظيفة في النواحي التعبدية القائمة على التواصل وجوانب في المعاملات والتفاعلات الاجتماعية المندوب إليها والمؤسس لها دينياً لتبقى على استدامتها وصيرورتها ما دام الدين وبقيت الأمة.

ويمكن القول بإجمال أنّ وظائف الاتصال الدعوي لا تختلف كثيراً عن بقية أنماط الاتصال فهو يحوي وظائف التربية والإرشاد والتوجيه باعتبارها الطرق المؤدية للهداية في الدنيا والفلاح في الاخرة، فإنه يهتم بوظائف التعليم والتثقيف وغيرها من الوظائف المتعلقة بنشر العلم والمعرفة الصحيحة، إلى جانب وظائف الإعلام والإخبار فإنه لا يهمل الترويح والتسلية والترفيه كوظائف أساسية للتواصل.

الوظيفة المعرفية:

وقد وُلِدت الوظيفة المعرفية مصاحبة للنشأة الأولى للاتصال الإنساني من خلال أساليب الخطابة والكتابة. وقد اهتم الفلاسفة والمفكرون القدماء والمحدثون بالمضمون الاجتماعي للمعرفة، وبرزت في هذا السياق مسألة (التواصل المعرفي) بين البشر عبر الاهتمام بالروابط العقلية التي تربط بين الناس وتجعل التفاهم بينهم ممكناً. "فعن طريق المعرفة يستطيع الإنسان أن يخرج من عزلته وانطوائه الذاتي.. والتغلب على التفكك الناشئ عن التقسيم المكاني والزماني للعالم. فالمعرفة قوة موحدة في عالم مفكك والجانب الاجتماعي من المعرفة يعرف بصحته الجميع و(المنطق) نفسه الذي هو أساس الاتصال العقلي هو أيضاً ذو طابع اجتماعي، ودرجة الاتصال التي تبلغها المعرفة تعتمد اعتماداً كبيراً على الروح الاجتماعية الموجودة في مجتمع ما. وأمر نجاح التواصل الحضاري راجع في الأصل إلى عناصر تداولية متنوعة على رأسها عنصر الذوات المتفاعلة التي تصنع التفاهم والمعرفة المشتركة "Mutual Knowledge" بين المتخاطبين، أو ما يسمى بالأرضية المشتركة "Common Ground" وهي معرفة بنيوية ذات نسيج معقد التركيب. وعنصر متعلق بموضوعات التفاعل ومنها المعارف والعلوم بأبعادها المختلفة. والوظيفة المعرفية

بالشرح السابق وظيفة كلية تتفرع عنها وظائف فرعية مثل وظيفة التعليم والتثقيف والإخبار، وفيها يتم استخدام أنظمة الاتصال ووسائل الإعلام المتخصص كعامل مساعد في العملية التعليمية عبر التعليم النظامي وغير النظامي، ويلاحظ انتشار ظاهرة التعليم المفتوح، من خلال القنوات الفضائية المختلفة كما بداء واضحاً أن استخدام تكنولوجيا الاتصال والمعلومات في نشر الثقافة الإسلامية والمعرفة الدينية غدا ملمحاً ملحوظاً من قبل المنشغلين بالمحتوى التواصلي على الشبكة والرسائل المتبادلة عبر شبكات الاتصال والقنوات الفضائية المختلفة[22].

الإعلام والإخبار:

وتعتبر وظيفة الإعلام والإخبار بالحوادث ومجريات الأمور حول العالم، من أهم وظائف الاتصال الجماهيري المتخصص، وهي تأخذ موقعها من الأهمية لدى القائم بالاتصال الدعوي باعتباره حارساً للبوابة الاتصالية على نحو ما وموجه لثقافة التلقي لدى جمهوره، ومن ثم له دور في توصيل المعلومة الإخبارية وتحليها وتوجيهها يضاف لذلك أيضاً مسؤولية الداعية عن ترشيد السلوك التواصلي للجمهور بالاهتمام بمَعْرِفَة الكم الهائل من الرَّسائِل الَّتِي يتلقاها المواطن يوميًا وَالَّتِي تجعله يَعِيش فِي دوامة، وَهَذَا الأمر يحتم عَلى الاتَّصَال الدعوي بناء ثقافة "المِيزَان المعياري" عِنْد المتلقي وَالَّتِي تجعله ينتقي مَا يفيده من هَذِهِ الرَّسائِل ويرفض مَا لا يقبله بِطَرِيقَة إيجابية، وخاصة فِيمَا يتعلق بالأطفال والأسرة.

وظيفة التفسير والتوجيه والإرشاد:

وفيها تقوم وسائل الإعلام والاتصال بشرح وتفسير الأحداث والوقائع المختلفة، بطريقة أكثر تفصيلاً إلى جمهورها المستهدف بما يستلزم توجيه السلوك التوجيه الإيجابي بما يتلاءم وطبيعة المجتمع لرفع المستوى الفكري والمهاري، وتطوير الاتجاهات بما يواكب المستجدات، فإنّ الاتصال الدعوي ومؤسساته والقائمون عليه يتخذون موقع المسؤولية المباشرة عن الجوانب التوجيهية والإرشادية في المجتمعات المسلمة، فالمساجد ودواوين الفتوى والمراكز الإسلامية هي في الأصل مؤسسات توجيه وارشاد والاتصال هو أحد الأساليب والنظم التي تعتمد عليها في أداء واجبها الإرشادي والتوجيهي.

الوظيفة التنموية للاتصال:

إذ للاتصال والإعلام دوره فِي بناء الأمم، وزيادة قدرتها عَلى النمو، وقد ركزت دراسات نظم الاتصال في العالم الثالث على الوظيفة التنموية وقامت تجارب ومؤسسات متخصصة للإعلام التنموي في البلاد النامية، وكان الإهتمام بالتنمية المحلية والتحديث قد احتل موقعاً متقدماً في الأجندة البحثية لدراسات الإعلام والاتصال في ستينيات وسبعينيات

[22] سوزان القليني وصلاح مذكور ، الإنتاج الإعلامي، النظرية والتطبيق ، دار النهضة العربية ، القاهرة ،2005م ، ص 16 .

القرن الماضي، وبدا التركيز على التنمية البشرية والاهتمام بالتنمية المستدامة هو الاتجاه الغالب على الاهتمام العالمي مع مداخل القرن الحادي والعشرين ..

هـ. وظيفة الترفيه والتسلية:

حيث تساعد وسائل الإعلام جمهورها على تمضية وقت الفراغ بطريقة مفيدة. ومن المُهِمّ للداعية الوعي بأكثر وظائف الاتِّصَال، والتركيز عَلى وظيفة المتعة والترفيه اللَذان يشغلان حيزاً واسعاً من اهتمامات الإنْسَان المعاصر المنهك في دوامة العمل والإنتاج. كما يلزمه ضرورة التفريق بَيْنَ المنابر الإعْلامية، ومنبر المَسجِد من حَيثُ التواصل مع الجمهور، والنظر في مَدَى تقبله للرسائل الدعوية.

وتتميز الدعوة بالمفهوم المذكور بعناصر تكوين وشروط صحة قد لا يكون لها ذات الأهمية في أنماط الاتصال الأخرى، أول هذه العناصر هو "النية" وهي فعل قلبي أساسي في تحديد اتجاه الإرادة الحافزة إلى الفعل الدعوي ، ولأنه لا بد لهذا الفعل من فاعل فإن القائم بالاتصال الدعوي هنا يبرز باعتباره داعية في الأساس، وهذا يستبعد في تلك اللحظة محترفي الإعلام "الاتصال بأنماطه الأخرى" فالقائم بالاتصال الدعوي في المقام الأول هو الداعية وهذا لا يلغي وجود آخرين يقومون بالوظيفة الدعوية وهم إنما يقومون بها بالتبع لا بالأصالة.. مما يعني أننا لا نفترض هنا مركزية وسائل الإعلام الحديث في بنية النظام الاتصالي الوسطي؛ ويتعيّن تبعاً لذلك وعلى مستوى الخدمة العامة الإيفاء بحزمة من الفرص الوظيفية تتعلق مباشرة بالاتصال الدعوي وتأتي وظائف الأئمة والمؤذنين وخطباء المساجد ضمن هذه الحزمة.

الخاتمة:

يندرج مفهوم وسطية الأمة وما يشاركه في حقله الدلالي ويجاوره من مفاهيم كالإمامة والشهادة والولاية والولاء والنصرة وأشباهها، وهي مفاهيم صعدت بجذورها القرآنية لمواقع تؤهلها لتتخذ موقعاً مركزياً بين عناصر الرؤية الإسلامية، من الطبيعي أن تغدو هذه المفاهيم ذات العلائق الإسلامية مهمشة من قبل الرؤى والمنظورات المادية والتوجهات العلمية الدنيوية التي تجد حرجاً في التعامل مع المفاهيم والمعاني والحقائق ذات الجذور الدينية بغض النظر عن المنطق والبرهان الذي تستند إليه.

تعاملت هذه الدراسة مع مفهوم "الوسطية" من خلال علاقته بثلاثة متغيرات هي متغير الأمة ومتغير المقاصد ومتغير القيم، فعالجت الدعوة الإسلامية باعتبارها ظاهرة اجتماعية ثقافية وسلوك إنساني ديني يرتبط بالمجتمعات المسلمة في معناه الجزئي ويتعلق - في معناه الكلي- بموقع الأمة الإسلامية ووجودها بين أمم العالم. وقامت بمقاربة الخطاب الدعوي من حيث علاقته بمقاصد الشارع ومتطلبات الواقع. ومن خلال نوع الموضوعات والأفكار ومناهج المعالجة ولغة الخطاب، ناظرة في حقيقة وجود الخطاب الإعلامي الواعي بالأبعاد الكونية للوجود البشري؛ الذي يمثل الشاهد على قيام نظام للاتصال الإسلامي يتم من خلاله تنزيل مبدأ الوسطية ، وإدراج معالم النسق القيمي الإسلامي ضمن النظام الوسطي والوظائف الإعلامية في نظام الاتصال الوسطي وانتهت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها:

1. تقدير المساعي الرامية لتفعيل مفهوم وسطية الأمة، باعتباره أمر مرتبط بخصوصية الرؤية الإسلامية للعلم والعالم.
2. وقد أفضت خيارات الدراسة إلى أنّ مفهوم (العالم الإسلامي) يعتبر وافياً في تحقيق التمثيل الواقعي والمعادل الموضوعي لمعنى الأمة المسلمة، ومن ثم أداة فاعلة للدعوة على المستوى الدولي باعتبارها التجلي الأتم للفعل الدعوي الدال على معنى الشهادة على الناس.
3. وأوضحت الدراسة أنّ المقاصد الكلية للفعل الدعوي تنقسم إلى مقاصد عامة هي مقاصد الفعل الدعوي الكلي للأمة، ومقاصد خاصة هي مقاصد الدعاة والمدعوين.
4. ومن أهم المقاصد العامة مقصد إقامة الدين وعدم التفرق فيه، ومقصد تحقيق شهادة الأمة على الأمم الأخرى، وتعتبر الدراسة أن حضور نظام الاتصال الإسلامي وتحقيقه لمعاني الوسطية وسيلة عملية لتحقيق تلك الغايات والمقاصد.
5. يتميز النظام الوسطي عن بقية الأنظمة الدنيوية بأن وسطية نظام الاتصال تنعكس في محتواه ونوع الرسائل المتداولة عبره ومنظومة القيم التواصلية الحاكمة لنشاطه.

6. ينطلق نظام الاتصال الوسطي في تقريره لوظائفه من قاعدة إيمانية تستند إلى حقائق الوحي في توجيه مسيرة الحياة.
7. تمثل الوظيفة الدينية روح الممارسة الدعوية وتتجلى هذه الوظيفة في النواحي التعبدية القائمة على التواصل وجوانب في المعاملات والتفاعلات الاجتماعية المندوب إليها والمؤسس لها دينياً لتبقى على استدامتها وصيرورتها ما دام الدين وبقيت الأمة.
8. لا تغيب الوظائف التقليدية للاتصال عن أفق النظام الوسطي ولكنه يكسبها طبيعته الخاصة فهو يتعامل مع وظائف التربية والإرشاد والتوجيه باعتبارها الطرق المؤدية للهداية في الدنيا والفلاح في الآخرة، ويهتم بوظائف التعليم والتثقيف وغيرها الوظائف المتعلقة بنشر العلم والمعرفة الصحيحة ولكنه يؤكد على مرجعية الكتاب الموحى، ويعنى بوظائف الإعلام والإخبار ولا يهمل الترويح والتسلية والترفيه كوظائف أساسية للتواصل لكنه بيجعلها خاضعة للحكمة الكلية للدين.

المراجع

الكتب:

1. القرآن الكريم:
2. كتب السنة:
3. سكحال، نور الدين، مادة مناهج الدعوة، مطبوعة التدريس السنة الثانية ،جامعة الامير عبد القادر،(الجزائر 2012م).
4. شمو، علي محمد: الاتصال: الأساسيات والمهارات ، منشورات جامعة السودان المفتوحة ، الخرطوم ، 2006م.
5. الصلاّبي :علي محمد , الوسطية في القرآن , 1428هـ-2007م الطبعة الأولى , دار ابن الجوزي – القاهرة .
6. الطالب ,هشام: ميثاق الشرف الدعوي، بدون تاريخ
7. بن عاشور (محمد الطاهر) ـــ مقاصد الشريعة الإسلامية ـــ الشركة التونسية للتوزيع 1985
8. الفاسي (علال): مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط5، 1993
9. القليني ، سوزان. و مدكور، صلاح ، الإنتاج الإعلامي النظرية والتطبيق ، دار النهضة العربية ، القاهرة ،2005م .
10. ملكاوي، فتحي حسن: منظومة القيم العليا التوحيد والتزكية والعمران المعهد، العالمي للفكر الإسلامي ط2013،1م.

بحوث المجلات العلمية:

11. العوض، محمد بابكر: الاتصال الدعوي في المجتمعات الإسلامية المعاصرة:دراسة منهجية في اطار التكامل المعرفي، مجلة تفكُّر، مجلد (11)، عدد (2)، 2011م/ 1432هـ .

الرسائل الجامعية:

12. عبد القادر، فريد محمد هادي: الوسطية في الإسلام مفهومها وضوابطها وتطبيقاتها، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام.
13. العصيمي، محمد بن علي; إبراهيم، إياد أحمد محمد "مشرف"; تجريم التضليل الإعلامي : دراسة تأصيلية (رسالة ماجستير). جامعة الرباط الوطني(السودان 2014).

مواقع الانترنيت:

14. أدهمي، رياض : بُعد الأمة في الخطاب المقاصدي عند الإمام ابن عاشور، مقال على موقع
15. أوغلو، أكمل الدين إحسان: الوسطية المستنيرة على الرابط :
16. http://www.wasatia.org/wp-content/uploads/2010/05/2-1-pdf
17. العمر، ناصر سليمان: الوسطية في ضوء القرآن. الرابط المادة:http://iswy.co/e143tv

18. أبو زيد، وصفي عاشور: الدعوة بلا مقاصد يترتب عليها مشكلات وسلبيات لا

19. "The Global Religious Landscape" Pew Research center.18 December 2012. اطلع عليه بتاريخ 18 March 2013. The Pew Forum on Religion & Public Life.